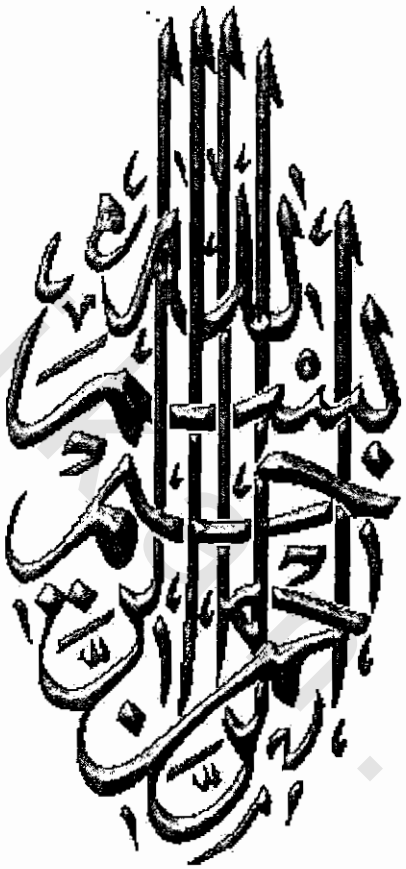

الإهـــداء

أهدى كتابى هذا إلى روح والدتى رحمها الله التى نالت قسطاً بسيطاً من التعليم.. لكنها كانت مهتمة بالثقافة العامة المتمثلة فى قراءتها للصحف اليومية وبعض الكتب.. والتى كانت تحرص على تعليمى وتربيتى.. منذ الصغر على المثل العليا والقيم، فقد عرفت عن طريق توجيهاتها أول درس عملى.. فى الثواب والعقاب- وأنا فى سن السادسة من عمرى- عندما كانت تكنس يوماً سجادة مفروشة بأحد حجرات المنزل... فأثار ذلك الغبار فى جو الحجرة ودخل من شباك الحجرة شعاعاً من أشعة الشمس.. أظهر بوضوح ذرات التراب المتعلقة بجو الحجرة- فقالت لى أمى... أنظر إلى تلك الذرات وإعلم أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره....

وكان أول درس عملى فى الأمانة تلقيته منها وأنا فى نفس السن عندما أعطتنى يوماً مصروفى وكان مليمان "قطعة معدنية واحدة".. فتوجهت إلى فراشة مدرسة الحضانة التى أتعلم بها والتى كانت تبيع الحلوى للأطفال وطلبت شراء حلوى بالمليمان فأخذت القطعة المعدنية وأعطتنى الحلوى وثلاثة مليمات.. ففرحت جداً.. وعند عودتى للمنزل رويت لأمى ما حدث.. فقالت لى يبدو أن الفراشة قد أخطأت وظنت أنك أعطيتها قطعة نقود مقدارها ٥ مليمات- لذلك أعطتك الحلوى بمليمان وردت لك ثلاثة مليمات، وطلبت منى أن أرد الثلاثة مليمات إلى الفراشة لأنه لا حق لى فيها.. وبالفعل ذهبت فى اليوم التالى وأعطيت الفراشة الملاليم الثلاثة، ولاحظت أنها لم تشكرنى أو تبدى لى أى مشاعر طيبة نحوى فقالت لى أمى ليس من الضرورى أن تنتظر عند رد الأمانة- أن يشكرك الناس ولكن من الضرورى رد الأمانة إلى أصحابها فى كل الأحوال.

هذا بجانب متابعتها لاستذكارى للدروس فى جميع مراحل تعليمى، ومساعدتى فى أعمال الأشغال اليدوية وتنمية موهبتى فى الرسم وروايتها المستمرة لى للأمثال والحكايات الشعبية المفيدة بدلاً من الحكايات الخرافية مثل حكاية الرجل أبو رجل مسلوخة وأمنا الغولة والعفاريت وبذلك غرست فى وجدانى بذور البحث والتأمل والتفكير السليم وتنمية موهبتى فى الرسم والثقافة العامة.

فنشأت مع الأيام محباً للرسم والإطلاع والقراءة فى كافة المجالات حتى حصلت على درجة علمية فى الدراسات الإسلامية- إلى جانب درجة أخرى فى الفنون التشكيلية بالإضافة لشهادتى الجامعية..

وأصبحت موظفاً بالحكومة حيث أمضيت فى الوظيفة ٣٧ عاماً مثالاً حياً للشرف والأمانة، أقاوم الرشوة والمرتشين وأتهكم عليهم فى مقالاتى ورسوماتى الكاريكاتيرية.

وبمرور الأيام تأكد لى أهمية تعليم وتثقيف المرأة لتصبح أماً صالحة لتكون بمثابة مدرسة يتخرج فيها أبناءها متحلّين بالقيم والأخلاق الحميدة، الأمر الذى جعلنى أختار زوجة تؤمن بنفس المبادئ التى تعلمتها من أمى ورزقنا الله سبحانه وتعالى بثلاثة أولاد نشأوا على نفس منوالنا فصاروا والحمد لله رجالاً صالحين يخافون الله فى كل تصرفاتهم.

رحم الله أمي وأدخلها واسع جناته

كما أهدى هذا الكتاب أيضاً للمفكرين والمفكرات والإعلاميين والإعلاميات والصحفيين والصحفيات وكل المهتمين بقضايا المرأة المصرية والعربية من أجل العمل على تكوين أسرة مصرية جديدة سعيدة تكون مثلاً أعلى وقدوة تحتذى لكل نساء الدنيا من أجل مستقبل أفضل للبشرية.

المؤلف

إِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابًا
فِي يَوْمِهِ إِلَّا قَالَ فِي غَدِهِ: لَوْ غُيِّرَ هَذَا
لَكَانَ أَحْسَنَ، وَلَوْ زِيدَ كَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَنُ
وَلَوْ قُدِّمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ، وَلَوْ تُرِكَ
هَذَا لَكَانَ أَجْمَلَ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعِبَرِ،
وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِيلَاءِ النَّقْصِ عَلَى
جُمْلَةِ الْبَشَرِ.

الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِي

مقدمة

رأيت قبل البدء فى تقديم مادة هذا الكتاب ضرورة إحاطة القارئ بقدر مناسب من تاريخ المرأة المصرية فى المجتمع المصرى الفرعونى القديم بقصد ربط الماضى بالحاضر ودراسة جذور نشأتها ونمو شخصيتها ومدى تطورها عبر السنين والأيام وبيان مقدار تأثرها بالمعتقدات والتقاليد والعادات والأديان بداية من العصور الفرعونية القديمة والتى دلت الصور والنقوش التى عثر عليها على جدران المقابر الفرعونية على مقدار تمتعها بقدر كبير من الاحترام والتقدير- كزوجة شرعية وهى "الزوجة المحبوبة"، وكان يطلق عليها "نبت- بر" أى (سيدة المنزل) التى تقوم برعاية منزلها وتدبير أموره وتوفير سبل الراحة به وكانت تختلط بالرجال دون حجاب.. وتبالغ فى احترام وإكرام زوجها وتفيض عليه وعلى أبنائها حباً وحناناً وكانت صورة الزوجة- على مقبرة زوجها فى الأسرتين الثالثة والرابعة بحجم زوجها نفسه مما يدل على التماثل فى الشرف والمكانة ومساواتها للزوج فى الحقوق والواجبات التى لم تعرف إلا فى أوائل القرن العشرين، وهذا لم يمنع الرجل من أن يكون قوّاماً على المرأة فى حدود ما يحفظ حقها ويصون كرامتها، ومنذ الأسرة السادسة حتى نهاية الأسرة الثانية عشر نرى أن الزوجة ممثلة بحجم صغير جداً دون حجم الزوج وكثيراً ما كانت ترى راكعة عند قدمى زوجها تقدم له فروض الطاعة حيث كانت القاعدة العامة هى أن الزوجة ترسم صغيرة بالنسبة لزوجها فى كل أوضاعها ولكن أحياناً نراها فى حجم الزوج.

وإذا فحصنا الصور التى تكون فيها الزوجة مماثلة للزوج فى حجمه رأينا أن ذلك لا يكون إلا فى المناظر الخاصة أو فى معظم المواقف الرسمية فإن صورة الزوجة تبدو صغيرة إلى جانب زوجها ولم تلاحظ إلا أمثلة قليلة رسمت فيها بحجم زوجها، ويبدو أن

النساء اللائى كن يرسمن فى حجم أزواجهن كلهن يحملن لقب "شبست- نبوت" أى "شريفة ملكية".

وإذا ما نظرنا إلى تمثال القزم "سنب" الموجود فى المتحف المصرى بالقاهرة (وهو من الأسرة الخامسة) لوجدناه هو وأسرته تتجلى بينهم روح المحبة والعطف التى تسود الأسرة فالزوجة تجلس إلى جوار زوجها وتلف ذراعها حوله فى رقة ولطف تعبيراً عن إخلاصها له بينما يقف الأبناء بجانب والديهم فى أدب واحترام.

وكان الزواج فى مصر القديمة فى سن صغيرة لحفظ الشباب من الدنس والموبقات ويقدم الشاب على الزواج عندما يكون قادراً على الكسب فيأخذ فى البحث عن شريكة حياته بواسطة "الخاطبات" وعادة كان الشبان يتزوجون فى سن الخامسة عشر، والفتيات فى سن الثانية عشر أو الثالثة عشر وصور توت عنخ آمون تدلنا على ذلك الذى تزوج من سن العاشرة وزوجته فى سن العاشرة تقريباً.. ونرى مثل هذا الزواج المبكر شائعاً بين كثير من المصريين فى الوقت الحاضر، وقد عثر على عقد زواج مصرى يرجع تاريخه إلى عام ٢٣١ قبل الميلاد "موجود بالمتحف المصرى" مكتوب على ورقة بردى تم إبرامه بين "أبى- أم- حتب" "أمحتب" وزوجته "تاحاتر" بالنص التالى:

"لقد اتخذتك زوجة وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه، الأطفال الذين تلدينهم لى يكونون أطفالى- ولن يكون فى مقدورى أن اسلب منهم أى شئ مطلقاً لأعطيه لآخر من أبنائى أو أى شخص فى الدنيا- سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام".

ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهرياً وسنوياً وسأعطيك إياه أينما أردت- وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة "على سبيل النفقة" – وإذا اتخذت

لك "ضرة" أعطيتك مائة قطعة من الفضة – وتناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يضمن كل كلمة فيه- إنى موافق على ذلك- وقد شهد على هذا العقد ستة عشر شخصاً".

من هذا العقد نرى أن هناك ضمانات كانت موجودة لإتمام عقد الزواج، فقد سجل حقوق الزوجة أمام زوجها- وتدل النفقة على ضمان حياتها بعد الطلاق بضمانات خاصة وهذا هو المتبع مثله حالياً فى قانون الأحوال الشخصية المصرى.

وكان زواج الأخ بأخته شائعاً فى عصرى البطالمة والرومان حيث إتخذ معظم البطالمة أخواتهم زوجات لهم، وفى عهد الإمبراطور كومودوس كان ثلث أهالى أرسينوى "الفيوم" متزوجين بهذه الطريقة.

وفى الأسرة الثامنة عشرة كانت "أحموس- نفرت- أرى" زوجة لأخيها "أحموسى" وسيدة تدعى "أحموسى" زوجة لأخيها "تحتمس الأول"، "أرات" زوجة لأخيها تحتمس الرابع... وهكذا.

وكان ذلك الأمر يتعلق بوراثة الحكم حيث كان العرش يؤول للابنة الكبرى فى حالة صغر سن الابن وقد اعتاد المصريون القدماء الزواج بالأخت فى الأسر الملكية حتى لا ينتقل الحكم إلى شخص غريب- حرصاً على الدم الملكى- إذ كان من حق البنت المولودة من أب ملك وأم ملكة فى وراثة العرش أقوى من حق الابن المولود من أب ملك وأم ليست ملكة، كذلك كان يجوز للخال أن يتزوج من بنت أخيه وكان للرجل فى العادة زوجة شرعية واحدة- أما بالنسبة لتعدد الزوجات فقد كان شائعاً بين الملوك والأمراء والمترفين وليس بين عامة الشعب، ومنذ الأسرة السادسة أصبح من حق الرجل أن يتخذ لنفسه أكثر من زوجة واحدة فالأمير "مرى- رع" قد ظهر فى النقوش الجدارية محاطاً بعدد ٦ زوجات شرعيات.

وكـــان الملـــك رمـــسيس الثـــانى زوجتـــان "نفـــترا- مرنـــى- مـــوت NEFTER- MERNE- MWT"، "أسـى- نفـرت NOFRET -ESE" والـده خلفه منفتاح".

وكانت مراكز الأبناء فى الأسرة السادسة متفاوتة فالذكور كانوا منفصلين عن الإنـاث ويعتبر الذكر بالنسبة لأخته هو الأكبر ولو كانت أكبر منه سناً.

كذلك الابن الشرعى كان ينسب إلى أمه أكثر مما ينسب إلى أبيه فى معظم الأحـوال مـا يدل على سيادة الأمومة على الأبوة فى نسب الأبناء.

ومن أروع مـا خلفـه الأدب المـصرى الفرعـونى مـا قالـه الحكـيم "آنـى" عـن الأم: "إعط المزيد من الخبز لأمك وإحملها كما حملتك- لقد كنت عبئاً ثقيلاً عليها وحـين ولـدت بعد تمام أشهرك حملتك على عنقها وظل ثـديها فى فمـك ثـلاث سـنوات كاملـة- ولم تكـن تشمئز من قذارتك ولم تقل "مـاذا أفعـل"؟؟ وأدخلتـك المدرسـة لتـتعلم الكتابـة وظلـت تنتظرك فى كل يوم تحمل إليك الخبز والجعة من منزلها وعندما تصبح شاباً تتخذ لك زوجـة وتستقر فى منزلك فضع نصب عينيك كيف ولدتك أمك وكل ما فعلته من أجـل تربيتـك- ولا تجعلها توجه اللوم إليك وترفع يديها إلى الله لئلا يستمع إلى شكواها.

وكان الطلاق عند المصريين القدماء وزراً كبيراً فللمرأة أن تطلبه مـن زوجهـا إن هـو خانها أو أساء معاملتها وعلى الزوج أن يعوضها مادياً ويعطيها نفقة إن فارقها.

ونرى فى بعض الأحيان أن الزوج كان يمنح زوجته هبه كمؤخر صداق كما حـدث فى عهد الملك بيبى الثانى من الأسرة السادسة، وبالنسبة لمعاملات المـرأة الفرعونيـة- الماليـة- فقد كان لها حق الملكية، وحق البيع والشراء وأداء الشهادة فى المحكمة، ويبـيح لهـا القـانون ملكية العقار وإدارة شئونها ويحذر على الرجل من التعدى على حقوقها، وكانت تتساوى مع الرجل فى الميراث وكانت هى وريثته الوحيدة إذا لم يكن له أولاد.

وكان للمرأة نصيب كبير فى تولى عرش البلاد فكان يؤول إليها فى حالة عدم وجود ذكر بحيث تنحدر من أم ملكية ودم ملكى صميم إذ لم يحظر قانون وراثة العرش على المرأة تولى الحكم وكان الملك إذا مات عن ذرية أكبرها بنت أصبح العرش من نصيبها.

واشتهر الملك رمسيس الثالث بعنايته بالمرأة وحفظ كرامتها بحيث لا تشعر بأى اضطهاد أو امتهان فتذهب كيف شاءت وتجتاز الطرق بما تستدعيه شئون الحياة القويمة آمنة من أن تمس بسوء.

ونشأت المرأة على فضيلة العفاف والتقوى والأمانة والميل إلى الخير والمبادئ القويمة يؤلمها أن تكون فى عصمة زوج غير منصف مثلها بهذه الصفات ولا تسمح كرامتها بتدنيس زوجها.

واهتمت التقاليد والعادات الفرعونية بمسألة البغاء وحذرت منه حيث جاء فى "كتاب الموتى" الفصل ١٢٥ – تفاصيل محاكمة النفس بعد الموت وتمثيل لعرض الأشخاص بأعمالهم فى قاعدة العدل الكبرى أمام محكمة الآلهة أوزيريس ويجتهد صاحب الذنب فى تبرئة نفسه أمام الاثنين والأربعين قاضياً.. وفى مقدمة تلك الذنوب والتهم التى يلتمس لنفسه المغفرة بإنكارها تبرئته من الفسق والزنا- وبهذا نستدل على أن الزنا كان منكراً أمام الآلهة وأمام الأخلاق وعندما يقف المتوفى على باب قاعة العدل وخلفه الآلهة "ماعت"- "آلهة العدل والحق"- يدافع عن نفسه بإنكارها فأنسب إليه ومن ضمن ما يقوله إنى يا إلهى لم ارتكب الفاحشة وأشته امرأة قريبى مما يدل على فظاعة الزنا وشناعته وكان عقاب الزانية هو الحرق- وعقاب الزانى هو القتل حتى يتم سحق الخيانة فى الحياة الزوجية ومن روائع النصائح التى كتبها الحكيم المصرى القديم "بتاح- حتب" فى التحذير من البغاء قوله: "وإذا ائتمنك الصديق بمقتضى المخالطة على أسراره العائلية ومنحك ثقة وسمح لك بالتردد على داره فاجتنب أمام ذلك أن يجول بذهنك أى خاطر سيئ أو يمس كرامة الأسرة

أو يغرى بك على خيانتها فإن هذه المفاسد تهدد فاعلها بالدمار وتعرضه للنقمة الإلهية وتحتم عليه الجزاء الأليم، فمس الأعراض وخيانة الأمانة ومحاولة الإفساد مع من حزت ثقته وعول على صداقتك جريمة كبرى يتضاعف عليها العقاب عند الله جلت قدرته ومن نصائح الفيلسوف المصرى "آنى" لابنه "خنسو- حتب" (من الأسرة الثانية والعشرين) "لا تترك قلبك ألعوبة فى الميل نحو النساء فإن ذلك يذهب بقوة دينك وعلو شرفك وأدب نفسك- فالمرأة بما أوتيت من الدهاء وتأثير الأنوثة من أقوى حبائل الشيطان وهى كالبحر العميق الذى لا يرحم من استهواه إلى قراره، وإذا كتبت إليك امرأة عن غياب زوجها واستدعتك للتردد عليها لهذا السبب فاعلم أنها تنصب لك شباك الهلاك لأن النفس أمارة بالسوء- والموبقات طريق سحيق إلى الوبال- وغائلة المرأة لا تؤمن فى حدتها الشهوانية.

ومن نصائح الحكيم "أمنبت- بن- كانخت" من الأسرة الثانية والعشرين: "لا ترسل نظراتك إلى جارتك لأن إطلاق النظر إليها يجعلك كالذئب فى مكره- لأن للجوار حرمة يجب الاحتفاظ بها" .

وهناك حكمة أخرى مأخوذة من بردية (ليد) المحفوظة فى متحف "كيد" بهولندا ويرجع تاريخها إلى حوالى عام ٥٠٠ق.م.

"لا تجعل قلبك ينشغل بحب امرأة أجنبية فتفسد حياتك وتوقعك فى المهالك فأشرف الصفات للمرأة الجميلة توقد العقل الزاجر لها عن المنكرات- والمرأة العاقلة تكون سبباً لسعادة زوجها والشريرة تعرضه للفقر الدائم ونكد الحياة".

وتأكيداً لنبذ البغاء والتحذير منه- أوصى أحد الحكماء المصريين القدامى قائلاً: "أيها الشاب.. إذا أحببت فتاة عذراء فأجابتك للاقتران فإياك أن تخون الزوجية بعد إتمام الصلة العائلية التى تقوم على حياتها حياة المجتمع ونظامه- فإذا وقعت فى الجرم فقد خنت المروءة وأغضبت الإله وجلبت على نفسك الضرر والاحتقار.

ويتضح من خلال حكم حكماء مصر الفرعونية ونصائحهم أن جريمة الزنا تستنكرها الفطرة السليمة والأذواق والطبائع والشرائع والقوانين فى مختلف العصور.

وتناول الحكماء المصريين القدامى، ومنهم "بتاح حتب" الذى عاش فى عهد الأسرة الخامسة موضوع المرأة وعلاقتها بالزواج حيث قال هذا الحكيم لابنه وهو ينصحه ويوصيه: "إذا كنت رجلاً حكيماً فكون لنفسك أسرة وأحبب زوجتك فى البيت كما يليق بها وأملئ بطنها وأكس جسدها وأعلم أن العطور خير علاج لأعضائها وأدخل السرور على قلبها طيلة أيام حياتها فهى حقل مثمر لسيدها ولا تكن شديداً معها فباللين تملك قلبها وأد مطالبها الحقة ليدوم معها صفاؤك ويستمر هناؤك".

كذلك حذر الحكيم "آنى" الذى عاش فى عصر الدولة الحديثة ابنه من المرأة الأجنبية المجهولة فى بلدتها- ونصحه بألا يوجهه إليها لحاظه عندما تمر أمامه ولا يتصل بها اتصالاً جسدياً، وندرك من خلال تلك النصائح الغالية كيف كان حكماء مصر القديمة منذ عهود سحيقة كان لديهم بروتوكولات متقدمة فى معاملة النساء- فهذا هو الحكيم "آنى" ينصح ابنه أيضاً أن يعامل زوجته بالحسنى ولا يكثر من إصدار الأوامر لها فى منزلها إذا كنت تعلم أنها سيدة صالحة ولا تقل لها "أين هذا..؟؟ أحضريه لنا" إذا كانت وضعته فى مكانه المعهود- لاحظ بعينك وإلزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياها يا لها من سعادة عندما تضم يدك إلى يدها.

وللمرأة من خصالها السيئة أنها قد تلعب دوراً مهماً فى حياكة الدسائس والمؤامرات فهى من قديم وهى تشترك فى المؤامرات فى حريم الملك حول وراثة العرش- بل ولقتل الملوك والأمثلة على ذلك كثيرة سجلها التاريخ الفرعونى المصرى القديم فالملك إمنمحات الثالث قتل على أيدى حريم قصره كذلك مقتل الفرعون رمسيس الثالث الذى قتل على أيدى إحدى زوجاته وكان يشد أزرها أبناؤها وبعض نساء القصر ورجاله وحراسه

وتواريخ القصور من أمثال ذلك مليئة بأخبار تلك المآسى وحوادثها المفجعة والتى كانت بطلاتها المرأة..

ومن ناحية أخرى وتأكيداً لمكانة المرأة المصرية الفرعونية القديمة- فقد اتخذت بعض الآلهة صفات المرأة مثل الإلهات إيزيس- ونفتيس- توت- وسخت وماعت وموت وتفنوت وسخمت وحتحور وباسنت- تاوبريس، وكان لهن شأن كبير فى المعتقدات الدينية لمصر القديمة، ومثال ذلك إيزيس وهى أشهر الإلهات المصرية وكانت زوجة الإله "أوزيريس" وأخته واحتلت مكانة سامية فى الأساطير الدينية وبعد مصرع زوجها أخذت تسعى لتنصيب ابنها "حوريس" على عرش أبيه، وكان الفراعنة يعدون أنفسهم خلفاء "حوريس" يستمدون منه السلطة ويمثلونه فى الحكم، وبذا قامت إيزيس بواجبها خير قيام فكانت الزوجة الأمينة الوفية وكانت تعد آلهة السحر والحسن- ومن التماثيل المشهورة تمثال إيزيس وهى ترضع "حوريس" ابنها الطفل.

ومثال آخر وهو الآلهة "حتحور" والتى حظيت بأسمى درجات التقديس وأطلق عليها "حتحور" أى بيت "حور" وملاذه الصقر المقدس "حوريس" الذى يحلق فى الفضاء، وكانت صورتها تمثلها على شكل قرنى البقرة وأذنيها وأحياناً تمثلها برأس بقرة كاملة- فهى ترجع إلى العقيدة التى تصور السماء على شكل بقرة وأصبحت فيما بعد سيدة الإلهات وجعلها المصريون القدماء إلهة الحب، والإلهة الطروب عند النساء، وأطلقوا عليها اسم "الذهب" وكان موطن "حتحور" فى مصر العليا- وكانت إلهة شعبية انتشر نفوذها بين الطبقات ولها معبد كبير فى دندرة يعتبر مكان عبادتها.

هذا عن مكانة الإلهات أما عن مكانة الملكات المصريات القديمة أمثال "حتب- حرس"، "خنث- كاوس"، "سيك- نفرو- رع"، "إياح- حتب"، "حتشبسوت"، "تى"، "نفرتيتى"، "تويا"، "كليوباترا"... وغيرهن.

وتُتخذ الملكة حتشبسوت مثالاً لأشهر ملكات مصر القديمة التى كانت شريكة الملك تحتمس الثالث فى الحكم الذى تزوج ابنتها "نفرو- رع" فكانت حتشبسوت عمته- وحماته- وزوجة أبيه فى نفس الوقت وتربعت على عرش البلاد وسجلت صفحات كثيرة من العظمة والفخار وتزوجت أخيها تحتمس الثانى وظهرت فى النقوش والتماثيل- وهى ملتحية لحية مستعارة تشبهاً بالرجال وتماثيلها على شكل أبو الهول برأس إنسان وجسم أسد رمزاً للقوة والعقل.

- وبعد... فهذه المعلومات عن المرأة المصرية الفرعونية وخطواتها المتتالية عبر الأجيال والعصور فى مصر القديمة، نذكرها لتمثل خلفية عما كانت عليه المرأة المصرية الفرعونية قبل الميلاد وبعده لإيضاح وضعها بالنسبة للرجل وفى الأسرة والمجتمع المصرى القديم.. حتى جاءت الرسالات السماوية.. لتعلى من شأن المرأة وتضع لها الأسس السليمة والمنطقية التى تؤكد دورها ووجودها المهم فى المجتمع حيث جاء الإسلام ليكرم المرأة أحسن تكريم فى صورة الأم والأخت والابنة والعمة والجدة والخالة والزوجة، والفتاة وهى فى مراحل طفولتها الأولى، ووضع القواعد الكفيلة بسعادتها، وسعادة من حولها من أفراد المجتمع الإسلامى، وذلك بالمحافظة على حقوقها وإيضاح واجباتها المكلفة بها من لدن الحكيم العليم جلت قدرته..

وخصص القرآن الكريم سورتى النساء ومريم لذكر كثير من أحوال المرأة فى مراحل حياتها المختلفة مؤكداً على حقوقها وواجباتها التى حددتها الشريعة الإسلامية- هذا بالإضافة لذكر تفاصيل تلك الحقوق والواجبات فى سياق العديد من سور القرآن الكريم لتوضيح نظرة الإسلام العظيمة إليها والأمثلة على ذلك عديدة.. منها :

- قوله تعالى- لإيضاح خلق البشر من نفس واحدة: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ واحِدَةٍ وخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا ونِسَاءً واتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [سورة النساء، الآية ١].

- وقوله تعالى- للحفاظ على أموال اليتامى ﴿ وآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُمْ ولا تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ولا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية٢].

- وقوله- فى أصول النكاح: ﴿ وإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي اليَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا ﴾ [سورة النساء، الآية٣].

- وقوله تعالى- فى الحفاظ على حقوق المرأة: ﴿ وآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [سورة النساء، الآية٤].

- وقوله تعالى- فى كيفية التصرف فى تركة المتوفى ﴿ لِلرِجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ وللنسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [سورة النساء، الآية٧].

- وقوله تعالى- فى إيضاح تفاصيل الحقوق فى الميراث: ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وإن كَانَتْ واحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ولأَبَوَيْهِ لِكُلِّ واحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إن كَانَ لَهُ ولَدٌ فَإن لَّمْ يَكُن لَّهُ ولَدٌ ووَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء، الآية١١].

- وقوله تعالى- فى إثبات جريمة الزنا ﴿ واللاَّتِي يَأْتِينَ الفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي البُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ المَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلاً ﴾ [سورة النساء، الآية ١٥].
- وقوله تعالى- فى إيضاح مدى قوامة الرجل على المرأة: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ واللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ واهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ واضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًا كَبِيرًا ﴾ [سورة النساء، الآية ٣٤].

تلك الآيات الواردة بسورة النساء نشير إليها على سبيل المثال لا الحصر لإيضاح ما أمرت به الشريعة للتعامل بين المرأة والرجل بميزان الحق كما أمر الله تعالى، وقد ورد الكثير من التعاليم الإسلامية فى كثير من سور القرآن الكريم مثل سور آل عمران- الأعراف- الأحزاب- فصلت- الشورى- الإسراء- النور- القيامة- التوبة- الأنفال- والإسراء- طه... وغير هذه السور، بالإضافة لأقوال الرسول محمد ﷺ فى أحاديثه الشريفة المتعلقة بعلاقة الرجل بالمرأة، ووصياه العظيمة بالنسبة للمرأة بما يعزز التوازن الكامل بين واجبات وحقوق المرأة والرجل..

وبذلك قضى الإسلام على كل الخرافات والمعتقدات والبدع والتعاليم الضالة التى عاشها كل من الرجل والمرأة فى عصور ما قبل الإسلام، والتى سبق إشارتنا إلى بعض منها الحادث فى مصر القديمة وغيرها من البلاد شرقاً وغرباً، والتى كانت كثيراً ما تخضع للأهواء والمصالح الشخصية وبعض منها يخضع للفطرة الإنسانية.

- وبعد هذه المقدمة الطويلة التى رأيت أن أُحيط القارئ بها علماً لتشكل بداية عند تناول تاريخ الصحافة النسائية فى مصر بالدراسة فإننا نلوم أصحاب المجلات والجرائد

- النسائية الصادرة بمصر منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن، لعدم استيعابهم الكامل للفكر الإسلامى وما جاء فيه من تمجيد المرأة والحفاظ على حقوقها، وبيان واجباتها، وعلاقتها بالرجل فى كافة أحوال الحياة.

حيث تلاحظ اختفاء المجلات النسائية التى تتناول صراحة وبالتفصيل مكانة المرأة فى الشريعة الإسلامية، إلا فيما ندر، واهتمام معظم تلك الجرائد والمجلات بالفكر الغربى واتخاذه مثلاً أعلى يحتذى به جرياً وراء التقدم الحضارى المزيف الذى انتشر من خلال حضارة الغرب، التى غيرت كثيراً من المفاهيم بالنسبة للمرأة إلى الأسوأ، وسار على هذا المنوال الخاطئ كثير من مفكرى ومفكرات الشرق، دون وعى أو إدراك سليم لما يحاك عن طريق المرأة المسلمة من مؤامرات تستهدف محاولات مستمرة للقضاء على مبادئ وأخلاقيات ومعتقدات الشرق التى تستند إلى الدين الإسلامى الحنيف.

وكانت بدايات الدعوة إلى التخلى عن تلك التعاليم والمبادئ القويمة للمرأة المصرية مع ظهور كتاب "تحرير المرأة" لقاسم أمين، سواء بقصد أو بغير قصد..

ومع مرور الأيام وتواجد القوى الأجنبية الطاغية المتمثلة فى ذلك الاستعمار للبلاد العربية ومنها مصر، والغزو الفكرى والاقتصادى انقلبت أمور حياة الأسرة المصرية ومكوناتها التى كان يجب عليها التمسك الكامل بتعاليم الدين السمحة الواردة بالقرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وإستسلمت لتعاليم الغرب ضمن ما استسلمت فى أمور الحياة الأخرى.

وإننا نهدف من وراء عرض التجارب الصحفية النسائية الواردة بهذا الكتاب بيان سلبيات وإيجابيات الممارسة الصحفية وتحميل المسئولية لكل صاحبة جريدة أو مجلة نسائية فيما استهدفت من نشر أفكار ومبادئ تخالف أحياناً صحيح الدين أثرت على القارئات اللائى عملن بموجبها ظناً منهن أنها الصحيحة والتى تساير الحضارة الحديثة.

- والله نسال أن تتجه نية المفكرين والمفكرات في هذا المجال إلى ضرورة تصحيح الأخطاء المتراكمة عبر السنين بالحكمة والموعظة الحسنة والقوانين الملزمة، ونسأل الله تعالى أن يمنح رجالنا ونساءنا وأبناءنا وبناتنا قلوباً ذاكرة وعقولاً واعية، ورؤى ثاقبة ترى الحق حقاً، وترى الباطل باطلاً..

القاهرة فى مارس / ٢٠١٤

المؤلف

obeikan.com

المرأة المصرية الفرعونية هى وزوجها

نفرتـــای... وإيزيـــس

نفرتیتی

کلیوباترا

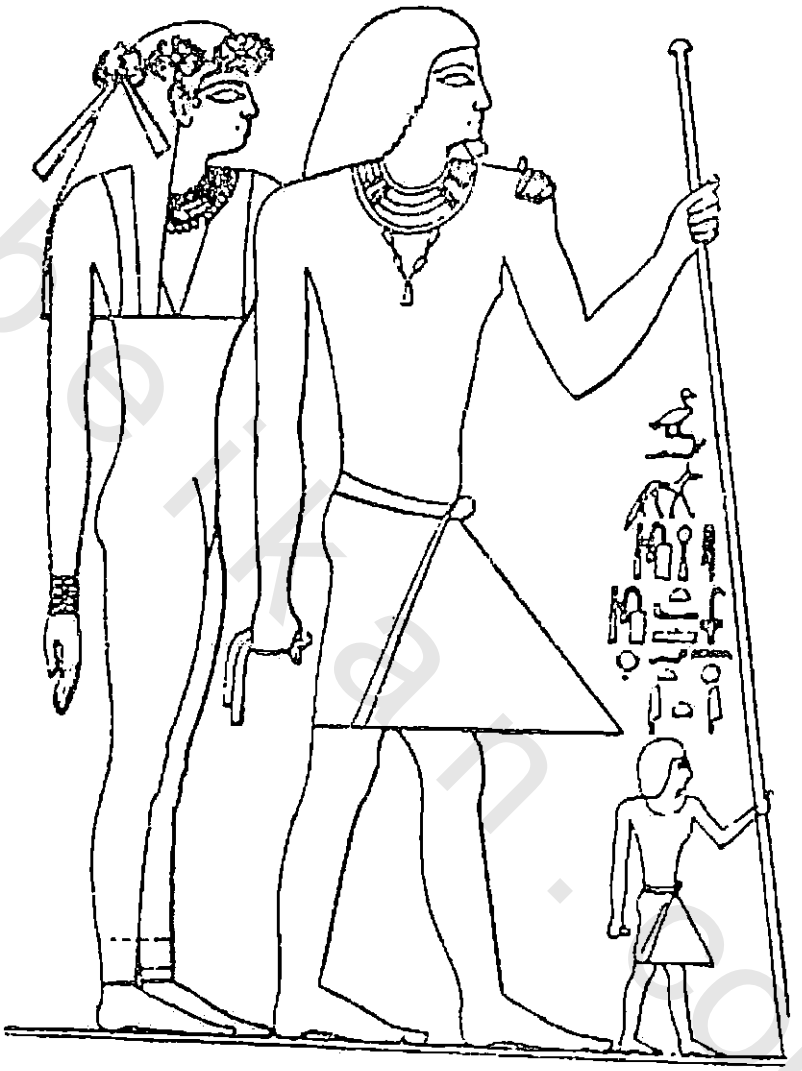

عروسان

عصر الدولة القديمة

امرأة مصرية تعزف على الناى

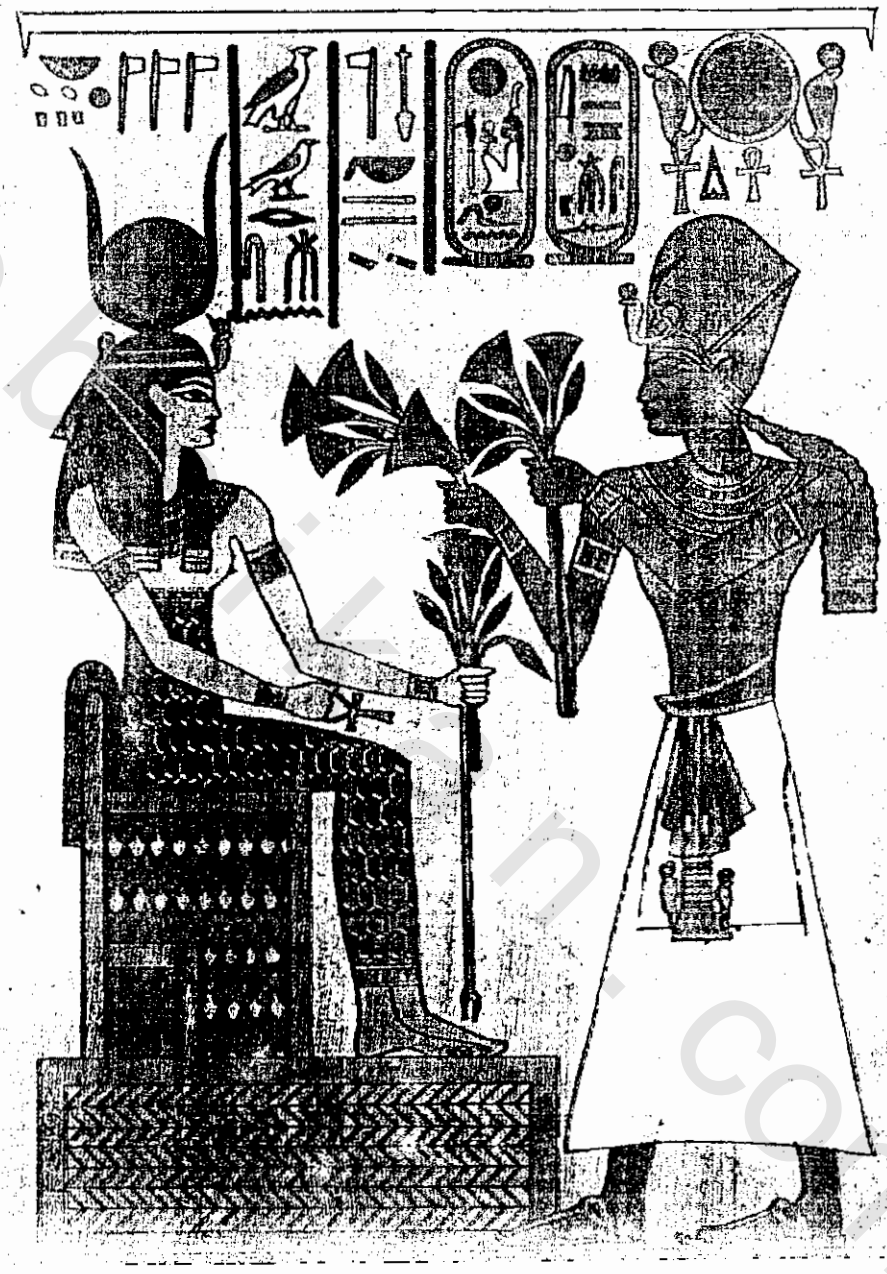

رسوم لأشخاص فرعونية للرجال والنساء مصرية قديمة

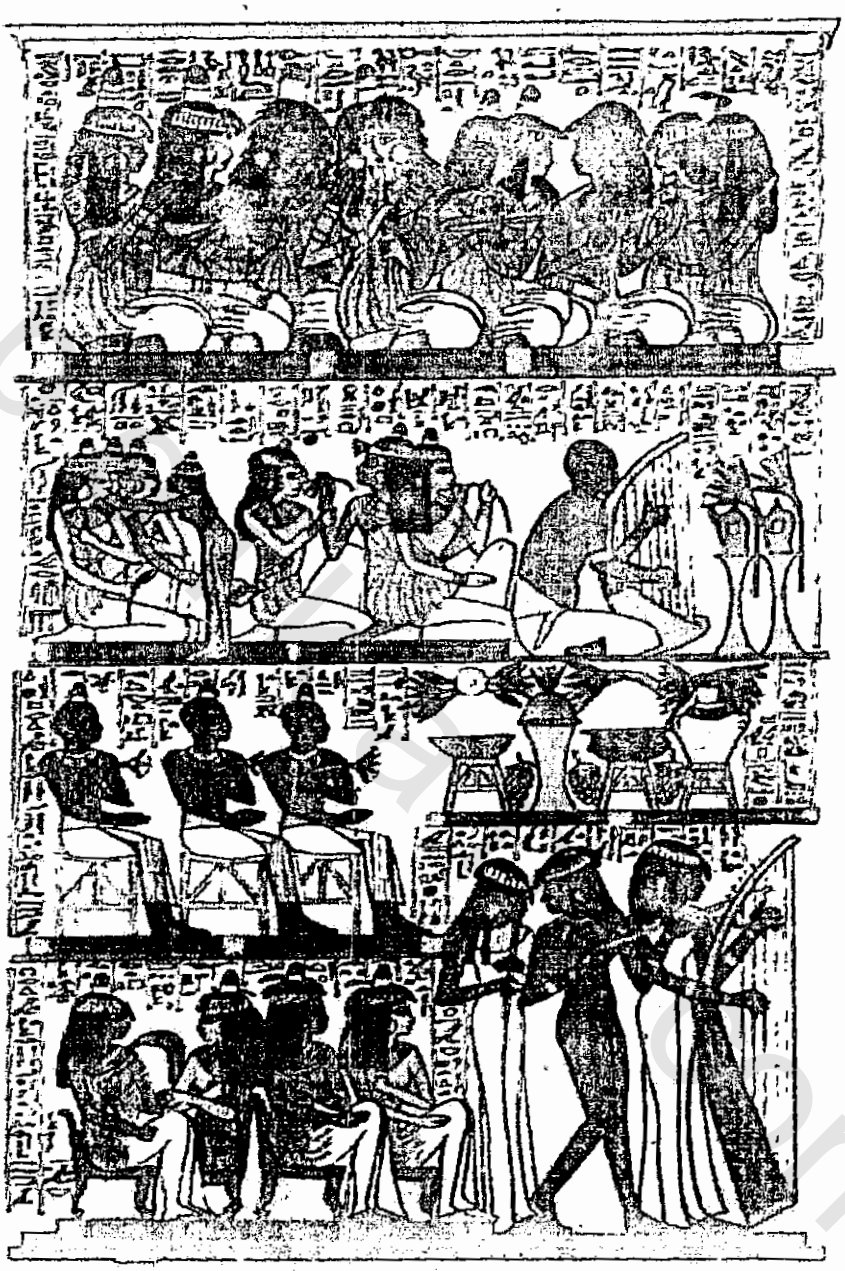

رسم لنساء فرعونيات كثيرات العدد

تمهيد

ونحن نتلمس تاريخ العناية بالفتاة المصرية فى العصر الحديث وبداية تلك العناية ندرك أن رفاعة رافع الطهطاوى كان أول من نادى إلى نهضة المرأة المصرية وإلى تعليم البنات وتثقيفهن أسوة بالبنين، وقد وضع لذلك كتاباً عام ١٨٧٢ لتثقيف البنات والبنين أسماه "المرشد الأمين للبنات والبنين".

رفاعة رافع الطهطاوى

ودعا فى هذا الكتاب إلى وجوب تعليم البنات وإعدادهن عن طريق التربية والتعليم، وقال فى ذلك: "... ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً لحسن معاشرة الأزواج فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك فإن هذا يزيدهن أدباً وعقلاً.. ويصلحن لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى ولتتمكن المرأة عند اقتضاء الحال أن تتعاطى من الأشغال والأعمال ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها، فكل ما تطيقه النساء من العمل يباشرنه بأنفسهن وهذا من شأنه أن يشغل النساء عن البطالة فإن فراغ أيديهن عن

العمل يشغل ألسنتهن بالأباطيل وقلوبهن بالأهواء، فالعمل يصون المرأة عما لا يليق ويقربها من الفضيلة، وبذلك يكون رفاعة رافع الطهطاوى قد سبق كل من عائشة التيمورية وقاسم أمين إلى هذه الدعوة..

وكان لعائشة التيمورية تلك الأديبة الشاعرة المتميزة الأسبقية والتى كتبت فى صحف عصرها الكثير عن الموضوعات الاجتماعية المتعلقة بالمرأة المصرية- ولها رسالة وجيزة "١٦ صفحة" من القطع الكبير بعنوان "مرآة التأمل فى الأمور" نشرت بعد عام ١٨٩٢- وكانت لغة تلك الرسالة هى لغة المقامات ذات السجع والتطويل وتستهلها بالشكوى قائلة...

"لعلى أرى لسماء الصفو هلالاً ولعقد الأزمة إنحلالاً...".

عائشة التيمورية

ويظهر أن عائشة قد عثرت على انحلال لعقد الأزمة أو ما يشبه ذلك حيث قالت: "فنادانى زعيم الجسارة هلمى إلى متصورة السلامة، ولا تحذرى الانتقاد والملامة.. وعليك بإيضاح الدعوى".

وأوضحت عائشة أنها تعنى من إيضاح الدعوى انقلاب الأدوار بين الرجال والنساء، وتسرب الفساد إلى داخل الأسرة وتفصيل ذلك عندها أن جماعة من الشبان "غرهم الله بالغرور حتى أن كل إنسان هَمَ بالاقتران من وضيع ورفيع ونبيه، كان كل بحثه عن الحلى والحلل والضياع والعقار، لا عن النسب والتدين والعفة والوقار..." ليتمتع بما تملكه ربات الجمال ويريح فكره من الأتعاب ويستغنى عن الجهد فى الاكتساب ويسلم الزمام للهوى مكتفياً بتلك الثروة المستعارة وما يدرى بأنه واقع فى حبائل الخسارة فتحتاط به أقرانه ويقوم جيش المداهئين بين يديه.

وناشدت عائشة التيمورية الرجال فى آخر الرسالة أن يصغوا إليها، وقد سبقت عائشة بدعوتها للإصلاح- قاسم أمين الذى أصدر كتاب "تحرير المرأة" عام ١٨٩٨، وكتابه الثانى "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠.

قاسم أمين

ونادت عائشة فيما نادت به من خلال مقالاتها فى صحف تلك الأيام بالإصلاح ولها مقالاً بعنوان "**لا تصلح العائلات إلا بتربية البنات**"، وذلك قبل شروع قاسم أمين من إصدار كتابيه، ورده على الدوق داركور..

وقبل إلقاء الضوء على تاريخ بدايات الصحافة النسائية المصرية الصادرة فى أواخر القرن التاسع عشر يجدر الإشارة إلى تلك الحملة الغربّية ضد العالم الإسلامى التى دبرها قادة الاستعمار عام ١٨٩٤ حيث تصدى فى هذه السنة كاتب فرنسى هو **الدوق داركور** لينقد الحضارة الإسلامية فى بلاد المشرق واتخذ وسيلته إلى هذا النقد حياة المرأة المسلمة- وما هى عليه من حجاب واحتجاب، وكانت تلك الحملة قاسية ضارية تصدى لها فى نفس العام رجل من رجال مصر الذين تثقفوا فى فرنسا هو قاسم أمين والتى كانت ردوده على الدورق داركور- ردود سديدة وحكيمة إلا أن مخالطته الغربيين والأخذ والرد بينه وبينهم وتأثره بثقافتهم- هذه العوامل كلها جعلته ينقلب بعد الفراغ من رده على كاتبهم إلى القيام بثورة فكرية ضد الحجاب..؟؟ وما إلى الحجاب من تقاليد قديمة!!!

كان قاسم أمين فى دعوته بريئاً لكنه لم يكن قد تدبر خطر ثورته، إذ لم تسبقها المقدمات التى تهيئ الجو للانقلاب العصرى الجديد.

وفى هذه الآونة تيقظت روح داعية إلى الإصلاح، وهو شاب مصرى مسلم شرقى أحس بخطر المفكرين الغربيين على بلاده، فاندفع بما لديه من دراسة مستفيضة فى شئون الإسلام وتاريخ المسلمين ليؤدى واجبه الذى يعتقده حقاً نحو الله والوطن إزاء الثورة على الروح الشرقية فى عالم المرأة.

فما أن ألف المستشار قاسم بك أمين كتابه "تحرير المرأة عام ١٨٩٨" حتى أدركه المصلح الكبير **محمد طلعت حرب** بكتابه "تربية المرأة والحجاب" والذى ندرك من عنوان كتابه أنه لم يكن يرمى به إلى الجدل العقيم إنما كان كتاب كاتب عف نزيه يقرر المبادئ السليمة لبنات وطنه وأبنائه لأنه قد وضع كتابه بدافع اجتماعى كريم- إنه طلعت حرب الذى يشرح فى مقدمة كتابه الدافع إلى كتابته بقوله: "أخذنا نسأل ونتساءل ونبحث ونتناظر

حتى علمنا أن معظم هياج الرأى العام على حضرة قاسم بك أمين ناتج بما رسخ فى أذهانهم من أن رفع الحجاب والاختلاط كلاهما أمنية تتمناها أوروبا من قديم الزمان لغاية فى النفس يدركها كل من وقف على مقاصد أوروبا بالعالم الإسلامى".

قال طلعت حرب فى جرأة الرجل المؤمن المطمئن فى مقدمة كتابه "تربية المرأة والحجاب": "... إنى أُجلّ حضرة الفاضِل قاسم بك أمين عن أن يكون له غاية من وضع كتابه (تحرير المرأة) خلاف حب الخير، والارتقاء بالأمة كما هو ظاهر من كلامه على تربية المرأة فإنه وصف حالتها اليوم أحسن وصف وقال بوجوب تربيتها تربية تهذب أخلاقها وتقوّم نفسها فلحضرته جزيل الشكر على ذلك، وسيرانا فى هذا الكتاب (تربية المرأة والحجاب) داعين إلى مثل دعوته رافعين صوتنا مع صوته علّ دعوتنا تخترق تلك الأذن الصماء فيهتم القوم بأمر هذه التربية، وتنال ضالتنا التى ننشدها وهى تحسين حالنا، وما ذلك على الله بعزيز".

وضع طلعت حرب بهذه المقدمة حداً فاصلاً بين الحقيقة والباطل وفرق فيها بين لغو الخصومة وأسلوب الإصلاح فلأنصار الحجاب فى كتابه صفحة مجيدة من الدفاع ولأنصار حرية المرأة فيه صفحة ناصعة من الإنصاف وفيه للذين حرروا أفكارهم من التحيز لبعض الرأيين صفحة كريمة من الحكمة، وهكذا ما كان طلعت بهذا الكتاب يصلح إصلاحاً اجتماعياً فحسب بل كان يصلح إصلاحاً أدبياً أيضاً.

يريد طلعت حرب أن يعدل من آراء قاسم أمين وهو واثق بأن قاسماً متأثراً بالثقافة الغربية فى آرائه فلا يبادئه النقاش بتفكيره ولا يواجهه بفكر بعيد عن أفكاره، بل إنه يقدم إليه آراء الغربيين أنفسهم فيقدم إليه وإلى الجمهور الشرقى قول الفيلسوف الإنجليزى "جون سيمون" إذ يقول فى مقال له بمجلة العلماء عن المرأة الأوربية التى أراد الثائرون للمرأة المصرية أن تقلدها:

"المرأة التى تشتغل خارج بيتها تؤدى فى
الحقيقة عمل عامل بسيط،
ولكنها لا تؤدى عمل امرأة... نعم إن
الرجل قد صار يستفيد من أجر امرأته
ولكن إزاء ذلك قل مكسبه لمزاحمتها
له فى عمله".

وقدم طلعت حرب لقاسم أمين دليلاً من إنجيل اليسوعيين ذاته.. إذ جاء فى كتاب العهد القديم بالإصحاح الثالث عشر من سفر التكوين: "وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك"، وكأن طلعت حرب قد خشى أن يرد أحرار الفكر بأن هذا ما لا ينطبق على حياتنا العصرية فأدرك قوله بقول عائشة أم المؤمنين: "لو علم النبى ﷺ ما أحدثت النساء بعده لمنعهن من الخروج".

ولم يبغ طلعت حرب بدعوته أسر النساء ومنعهن من الخروج إلى تثقيف أو تهذيب، بل كان فى دفاعه يربأ بالمجتمع الشرقى أن يكون فى ماضيه مجتمعاً ظالماً فأخذ يقدم الدليل بعد الدليل على عدالة الأوضاع الاجتماعية التى كانت أساساً للحياة المنزلية فى الشرق ومع هذا الدفاع القوى عن الناحية القومية فيما يتعلق بالثورة الاجتماعية التى أعلنها قاسم أمين فقد سارع طلعت المصلح جنباً إلى جنب مع زعيم هذه الثورة إزاء تثقيف المرأة وتهذيبها وامتاز المصلح الرصين طلعت حرب على المصلح الثائر قاسم أمين بأنه طالب بتعليمها تعليماً ينفع المرأة ولا يضر الرجل، فانظر إلى طلعت حرب مؤلف كتاب "تربية المرأة والحجاب" يقول فى صريح عبارته "قال قاسم أمين: أرى هم الناس موجهة إلى التعليم ولا أرى أحداً يلتفت إلى تربية النفوس، وأرى أن الحرص على التعليم منحصر فى تعليم الذكور،

مع أن تهذيب الأخلاق مقدم على التعليم، وتعليم البنات مقدم على تعليم الذكور... فهذا كلام كله حكم، ونوافق عليه حضرة المؤلف جهدنا ولكن لا يؤاخذنا إذا كنا نخالفه فى أمر واحد وهو إننا نعتقد أن التهذيب واجب للذكور والبنات معاً لا تقديم للبعض على الآخر".

هذا بعض ما جاء فى كتاب "تربية المرأة والحجاب" لمؤلفه محمد طلعت حرب وما هو إلا رسالة من رسالات الإصلاح وقد أحسن المؤلف وضعها وتنسيق آرائها والدفاع عن قضيتها ومع أن هذا الكتاب قد ظهر قبل بداية القرن العشرين بسنوات ثلاث تقريباً، فإنك لتقف منه على أسلوب فى البحث جديد فيه تبويب وفيه تقسيم وتفصيل لا يوفق إليه إلا عقل رفيع، انظر إليه يرد حجة مؤلف كتاب "تحرير المرأة" عليه قائلاً: "... يقول قاسم أمين (محرر المرأة) إن البرقع والنقاب غير معروفين فى الإسلام- وهذا قول يدفعه ما جاء فى نفس كتاب تحرير المرأة من أن النبى ﷺ نهى المحرمة عن لبس القفاز والنقاب، وهل لذلك معنى سوى أن النقاب كان موجوداً ومعروفاً وأنه كان معمولاً به وواجباً وكان النساء يستعملنه حتى فى وقت الإحرام فنهاهن النبى ﷺ عن هذه الحالة فقط".

ثم انظر إلى طلعت حرب مرة أخرى وهو يقول فى كتابه المذكور: "قال محرر المرأة فى مبدأ كلامه عن الحجاب ما يأتى بالحرف الواحد: ربما يتوهم ناظر أننى أرى الآن رفع الحجاب بالمرة- لكن الحقيقة غير ذلك فإننى لا أزال أدافع عن الحجاب وأعتبره أصلاً من أصول الأدب التى يلزم التمسك بها- غير أننى أطلب أن يكون منطقياً على ما جاء فى الشريعة الإسلامية، ولسنا هنا نطلب إلا تنفيذ ما جاء فى هذه العبارة".

فلعل فى هذا التعليق البسيط البليغ الذى علق به طلعت حرب على هذه الفقرة المختارة من حديث قاسم أقوى دليل على قوة منطقه وسداد حجته ونفاذ بصيرته فى كل قضية إصلاحية وكل نفسه للدفاع عنها.

طلعت حرب زعيم المعتدلين

فى قضية تحرير المرأة

أصبحت قضية تحرير المرأة قضية اجتماعية عامة ذات مذاهب ثلاثة- مذهب المتطرفة وعلى رأسهم قاسم أمين ومذهب المعارضة وزعماؤه كثيرون ومذهب المعتدلة وعلى رأسهم طلعت حرب- واشتدت الخصومة بين المتطرفين والمعارضين حتى خرج قاسم عن هدأته مرة أخرى وأخرج كتاب "المرأة الجديدة" يؤيد به رأيه فى كتاب "تحرير المرأة" وأصبح لابد من حسم هذه الخصومة من مصلح نابغ يعدل بين الرأيين فلم يكن هذا المصلح النابغ سوى طلعت حرب، الذى أخرج كتابه الثانى "فصل الخطاب فى المرأة والحجاب" غير متخذ فيه أسلوباً من أساليب الجدل- بل إنه قد جمع فيه أقوال قاسم أمين بذاتها فى رده على الدوق داركور وهو رد كله دفاع عن الأوضاع الاجتماعية الشرقية التى نشأت عليها وعاشت فيها نساؤنا.

وقد قال قاسم أمين فى رده على الدوق داركور:

"وبالجملة فإن كل ما نفعله نحن معشر الرجال يمكن نساءنا أن يفعلنه وهن فى الواقع يفعلنه وكل ما هو جائز لنا عمله جائز لهن كما أن كل ما هو محرم علينا محرم عليهن فمن

ذلك أنه محظور على الرجال الاختلاط بالنساء فيظهر لى أن من الطبيعى كذلك أن النساء يحظر عليهن الاختلاط بالرجال، وإنى أعيد هنا لهذه المناسبة أن حالة المرأة مساوية فى ذلك لحالة الرجل ومع ذلك لم يقم من الأوروبيين واحد أخذته الشفقة على الرجل المصرى وهزته الرأفة فرثى لحاله كما يرثى لحال المرأة إن كانت الحالة تدعو إلى الشفقة والمرحمة".

لم يكتف طلعت الجبار بهذه الحجة من مناظرة يقدمها إليه ليناهضه بها فى رصانة وهدوء بل أبى جبروته إلا أن يقبض ببداهة قوية على اعتراف من قاسم أمين بأن المرأة الشرقية المسلمة تستمتع بمدى أوسع من حرية المرأة الغربية حيث كان المستشار يقول فى رده على الدوق داركور: "هذا وسبق أن قلت أن لنسائنا مطلق الحرية فى كافة أفعالهن وأزيد الآن أننا لو نظرنا من جهة أخرى للحالة التى جعلتهن عليها الشريعة الإسلامية الغراء لوجدناها أحسن ما يمكن أن تطمع فيه نفس امرأة، فإنها وهى زوجة تتمتع بكافة حقوقها المدنية- ثم هى مكلفة شرعاً وأهل للتصرف بكامل أوجه التصرفات التى تقتضيها إدارة أملاكها فلها بيعها بدون أن يكون هناك أدنى احتياج لإذن المحكمة أو لتصريح من الزوج وهذه الأهلية تابعة لحريتها الشخصية، وسلطة الزوج عليها فى ذلك ليست إلا سلطة معنوية، فالمرأة المسلمة لا تطيع إلا رائد عقلها فيما تريد أن تجريه من بيع أو شراء أو هبة أو قبض أو مقاضاة... إلى غير ذلك بخلاف المرأة الفرنسية مثلاً التى لا يمكنها أن تعمل عملاً ما من هذه الأعمال إلا إذا رضى به سيدها والمسيطر عليها فى أعمالها- ورخص لها بعمله".

التأثير السيئ للأجانب فى شئون المسلمين

لم تقف قوة طلعت حرب المنطقية فى شبابه عند هذا الحد من إلزام مناظرة الحجة فى تفاصيل القضية التى كانا يتنازعان الرأى فيها بل إنه استطاع أن يظهر الناس من حديث

قاسم أمين فى رده على الدوق داركور على رأى يرفض التقاليد الغربية عن الشرق دفعة واحدة، حيث كان المستشار يقول: "قلنا ونقول أن آرائنا فى الشرق كانت محفوظة وأعراضنا مصونة إلى أن دهمنا الأجانب بخيلهم ورجلهم واختلطنا بهم وتوجهنا إلى بلادهم وجاءوا إلى بلادنا بالتغلب أو للتجارة فأدخلوا فى بلادنا من مسميات مدنيتهم الغربية ما ذهب بتلك الأداة أو كاد يذهب بها تماماً، وارتقت حاجيتنا وغرتنا تلك الظواهر الخلابة- فأصبحنا كما نحن اليوم فى حالة يرثى لها العدو قبل الصديق كل ذلك لم يكن لولا اختلاطنا بالأجانب- وتقليدنا لهم فى كل ما يضر لا ما ينفع تقليداً أعمى فصرنا لا نتقدم خطوة نحو المدنية الغربية إلا تأخرنا خطوات عما كنا عليه من الفضائل".

مسيحيو الغرب هم الذين أفسدوا مسلمي الشرق...!!!!

وقال أيضاً قاسم أمين استكمالاً لما ذكر:

"ولست أنا أول من تجاسر على القول بذلك فإنى قرأت فى كتابين شهيرين عن البلاد التركية أولهما كتاب عنوانه "داء الشرق" والثانى "تركيا الرسمية"، وفى كلا الكتابين قد جاء بصريح العبارة أن المسيحيين "مسيحى الغرب" هم الذين أفسدوا المسلمين ولا يمكن أن يرمى مؤلفا هذين الكتابين بالتحيز إلى الأتراك ومراعاة جانبهم، وهذا أيضاً ما يشعر به ويقوله كثير من أصدقائى الأوروبيين، فإنهم مجمعون على أن الذين بذروا الفساد بين المسلمين هم هؤلاء الدجالون المزورون المجرمون المرابون وأرباب الحانات وغيرهم من أمثالهم العديمى الذمة الذين يراهم الإنسان بين المستشرقين والأوربيين أنفسهم".

وبعد هذه الفقرات الكاملة التى جاء بها طلعت حرب فى كتابه "فصل الخطاب فى المرأة والحجاب" من أقوال قاسم أمين "محرر المرأة" فى عام ١٨٩٤ وعلق عليها

بطريقته الجبارة طلعت حرب بقوله "هذا ما قاله حضرة محرر المرأة فى عام ١٨٩٤ وقد رددنا صداه فى عام ١٩٠٠".

ونرى أن هذا التعليق كفاية عن كل تعليق فإن الفقرات التى اختارها طلعت حرب عن قاسم أمين تدل بوضوح جلى عن وجهة نظر طلعت المصلح الكبير إزاء ثورة تحرير المرأة..

وإننا كفاحصين لآراء كل من قاسم أمين وطلعت حرب فى الكتب الصادرة لهما نرى أن قاسم أمين الذى كان يرثى لحال ما وصلت إليه بلادنا فى عهده، وما بعد ذلك حتى يومنا هذا من سوء وانهيار وتدهور أكد ويؤكد فى كل لحظة كيف أن مسيحى الغرب قد أفسدوا المسلمين حقاً وعجبت لأن قاسم أمين وقع فى فخ من فخاخ هؤلاء الفسدة المضللين من دجالى ومزورى ومجرمى ومرابى وأرباب الحانات وغيرهم من عديمى الذمة، فكان ضحية نظره، فكان الشر كل الشر من كتابه "تحرير المرأة" فكانت جنايته على نفسه وعلى الآخرين تلك الجناية التى تفاقمت حتى أصبح حال المرأة المسلمة المصرية بل حال العائلة المصرية يرثى له كما نلمس الآن.

ونقول بعد هذه السنين التى وقعت فيها بلادنا الإسلامية فى براثن مفسدى بلاد الغرب لعنة الله على الدوق داركور عدو العرب والمسلمين وأمثاله وهم كثيرون الذين استطاعوا صيد أحد أبناءنا، وقاموا بغسيل مخه حسب التعبير الشائع الآن، وأقنعوه بوجهة نظرهم السيئة المغطاة بشيء من العسل فالتهمها كما التهمها الكثير من سذّاج بلادنا قديماً وحديثاً، وصدق المثل القائل "تيجى تصيده يصيدك".

ونعود ونكرر بعد حدوث الدمار الذى انتشر فى بلادنا بداية من عهد قاسم أمين وحتى الآن، أن انتبهوا يا شباب وشابات اليوم والغد وبعد الغد فالحرب مستمرة على بقية مبادئكم الإسلامية لا تتوقف بغرض تمام إتلافها إن لم تقوموا بالمحافظة على مبادئ

وقواعد دينكم الحنيف العظيم هذا الدين الإسلامى الأخذ فى الانتشار حالياً فى كثير من بلاد أوروبا وأمريكا.

رحم الله الزعيم الكبير والمصلح الاجتماعى والاقتصادى الفريد محمد طلعت حرب باشا وأمثاله من المخلصين لمصر وللعروبة والإسلام الذين قالوا كلمة حق رغم صعوبة الحياة السياسة المصرية فى زمانهم نتيجة للاستعمار الإنجليزى البغيض.

- وفى ختام تلك الأسطر نقدم شيئاً من آراء طلعت حرب فى ثقافة النساء.. حيث قال: "التعليم الذى لا باس به أن يشترك البنات بالاشتغال فيه والانتفاع به متى آنس الإنسان منهن رشداً واستعداداً له هو عبارة عن تعليم القراءة والكتابة ضمن تعليم القرآن الشريف وأمور الدين لتعرف البنت ما يجب عليها وما يجب لها من الحقوق والواجبات ومبادئ الحساب والهندسة والجغرافيا ومختصر تاريخ بلادهن، فإن هذا يزيدهن أدباً وعقلاً ويصلحن به لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى فيعظمن فى قلوبهم ويعظم مقامهن لديهم...".

"لا شيء يمنع المرأة من التوسع فى العلوم والمعارف"

وورد فى كتاب طلعت حرب "تربية المرأة والحجاب" أنه لا شيء يمنع المرأة من التوسع فى العلوم والمعارف إذا وجدت عندها القابلية فى نفسها وكان وقتها يسمح لها به• كما أن لا شيء يمنعها عند اقتضاء الحاجة من أن تتعاطى من الأعمال بعض ما يتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها".

إن الرأى المشار إليه نراه رأياً سديداً وحكيماً تم تطبيق الكثير منه الآن ولكن نرى ضرورة إعادة النظر إلى البرامج التعليمية فى جميع المراحل لأبنائنا وبناتنا، لنحصل على نتائج أفضل مع الاهتمام بالدراسات الدينية خاصة فى سنين الحياة الأولى، والاهتمام باللغة العربية لغة البلاد الأصليه والتكلم والكتابة بها وأن تكون أى لغة أخرى هى لغة فى المقام الثانى

والتقليل من شرور التعليم الأجنبى وتأثيره على العقل العربى والمصرى، وإبراز معالم الحضارة الإسلامية وإزالة ما تراكم عليها من ملوثات الفكر الأجنبى الضارة.

وفى الفصول القادمة من هذا الكتاب نلقى الضوء على نشاطات الصحافة المصرية النسائية قديماً حيث صدرت تباعاً الجرائد والمجلات التى تؤيد فكر السفوريين أعداء الحجاب، وهى كثيرة والتى ظهرت فى أعقاب صدور كتاب "تحرير المرأة" لقاسم أمين، ورأس تحريرها بعض نساء يدينون بغير دين الإسلام، ورجال آمنوا بالفكر الغربى، متجاهلين عن قصد أو غير قصد ما نادت به شريعتهم الإسلامية، التى لم يشجع تطبيقها حكام هذا الزمان، وكان صوت المنادين بالحجاب الإسلامى الواجب خافتاً فى كثير من الأحيان لكن لا ننكر ظهور نساء مصريات مخلصات للدين والتقاليد الإسلامية رأسوا تحرير كثير من تلك الصحف والمجلات ومارسوا دورهن الصحفى النسائى بكل الإخلاص والتجرد لله وللوطن إلى جانب نشر كثير من آراء لمفكرين وأدباء كبار بهذه المطبوعات.

ولكن كثيراً ما وجدنا آثار التدخل الفكرى الغربى السيئ قد تسرب إلى أفكار كثير منهن سواء بقصد أو حسن نية، أو لعدم الإلمام بالثقافة العربية الإسلامية الصحيحة، حيث كان كثير منهن من خريجات مدارس الراهبات- والمعاهد الأجنبية خاصة الجامعة الأمريكية- وكان بعضهن غير مسلمات أتين من بلاد الشام يتصوّرن أن نموذج المرأة الأجنبية والأمريكية يصلح أن يكون مثلاً أعلى يجب أن تحتذيه المرأة المصرية باسم الحضارة والتقدم والرقى.. وترتب على ذلك الأمر أن اختلطت كثير من المفاهيم فى ذهن المرأة المصرية وأصبحت حائرة بين تقاليدها العربية الإسلامية وبين تقاليد الغرب المستوردة، وهذا يبدو واضحاً منذ بداية نشأة الصحافة النسائية المصرية وحتى الآن.